بسم الله الرحمن الرحيم

التّطبيقات اللغوية/المرحلة الرابعة

كليَّة التربية للعلوم الإنسانية- قسم اللغة العربية

أُستاذ المادة: أ.د. ميثاق حسن عبدالواحد

مقدِّمة في المستوى الصوتي

الصَّوت في اللغة العربيَّة هو اللَّبِنة الأساس التي يقوم عليها بناء نظامها التواصلي, وهو التَّجلي الأول لأشكال التخاطب والتفاهم بين المتكلمين بها. وقبل الدخول في بيان أثر الصوت في تشكل النظام اللساني/اللغوي لابد من الإشارة إلى أنَّه نتاج عمليَّة فيزيائية يقوم بها جهاز النطق عند الإنسان, وتشارك فيها أعضاؤه الحيوية العديدة. فعندما يهمُّ الإنسان بالتكلم وإصدار الكلام يتهيَّأ جهاز النُّطق بجميع أعضائه ويتحفَّز لإنجاز تلك العملية, فتبدأ الرِّئتان بالامتلاء بالهواء, فيضغط عليهما الحجاب الحاجز, فيندفع الهواء عبر الممرات الهوائية التي تسمى أيضا مجاري الهواء أو القصبات الهوائية, وعندما يصل إلى أعمق نقطة من جهاز النطق التي حدَّدها علماء الصوت بأقصى الحلق وهو أعمق المخارج الصوتية وأبعدها عن نقطة تجلّي الصوت وظهوره وتشكله ماديَّاً بتسلُّط حاسّة السّمع عليه, والتي حدّدها الصَّوتيون بالشَّفتين, والشَّفتان هما أعلى مخارج الجهاز النُّطقي عند المتكلِّم العربي.. وما بين هذين المخرجين (أقصى الحلق والشفتان) تتوزَّع مخارجُ أُخرى يُسهم كلٌّ منها بإنتاج صوتٍ أو مجموعة أصوات تتَّصف به, فالأصوات التي تُنتَج عند أقصى الحلق كصوت العين تُسمَّى أقصى حلقيَّة, والتي تُنتَج عند اللَّهاة مثلا كصوت الكاف تُسمَّى لهويَّة, والتي تُنتج عند الشفتين كصوت الميم مثلا تُسمَّى شفويَّة وهكذا...

الصِّفات الصَّوتية:

تكتسب أصوات العربية في أثناء عملية إنتاجها صفاتٍ معيَّنة, ينتسبُ بعض هذه الصفات إلى أعضاء جهاز النطق المؤثرة في انتاجها, فتُسمَّى بها كما مرَّ بنا آنفا, فالعين صوتٌ أقصى حلقي, والفاء شفوي أسناني, والتَّاء لساني أسناني, والباء والميم كلاهما صوتٌ شفوي وهكذا الأمر بالنسبة لأصوات عربيَّتنا الجميلة الأخرى. وهذه الصفات وغيرها مما لم يُذكر يمكن أن نسميها (أصوات خاصة) ؛ لأنَّها تخصُّ صوتاً واحداً أو صوتين ولا تزيد عن خمسة أصوات في جميع الأحوال.

من أعضاء جهاز النطق الفاعلة في إنتاج الأصوات وفي تشكُّل الصفات الصوتية (الحُنجُرة) , وهي عبارة عن حُجرة صوتيَّة مثلما أطلق عليها علماء اللغة الصوتيون القدماء, وصندوق صوتي مثلما أسماها علماء الصوت المحدثون, يوجد داخلها تجويف رقيق يسمى لسان المزمار, وهو عبارة عن تجويف أو مجرًى هوائي رقيق يتكوَّن من وضعية وترين صوتيين, فهناك وتران صوتيان داخل هذه الحجرة يكوِّنان فتحة لسان المزمار, فعند مرور الهواء المصاحب لإنتاج بعض الأصوات يقترب الوتران الصوتيان من بعضهما اقترابا كبيرا إلى درجة الالتصاق, فيؤدي ذلك الاقتراب إلى أن تضيق فتحة لسان المزمار, فيصعُب مرور الهواء المصاحب من خلالهما, فيمُرُّ بصُعوبة مُحدثاً ذبذبةُ رنينيَّة في الوترين الصوتيين, فيكتسب الصوت الناتج سمة نغمية رنينية واضحة, فيُسمَّى صوتا مجهوراً. وعلى النَّقيض من ذلك عندما يمرُّ الهواء المصاحب لإنتاج أصواتٍ أخرى يتباعد الوتران الصوتيان عن بعضهما فتتَّسع فتحة لسان المزمار, فيمرُّ

الهواء بيُسر وسهولة من دون أن يُحدِث ارتجاجاً أو ذبذبة فيهما, فيكتسب الصوت سمة يُسمى على وفقها صوتا مهموسا.. من هنا يتَّضح أنَّ صفتي (الجهر و الهمس) من الصفات الصوتية العامة, تشمل كلٌّ منهما طائفة من الأصوات.

وعندما يصل الهواء المصاحب لإنتاج الأصوات كلِّها إلى المرحلة الأخيرة من الظهور المادي والتجلي الفيزيائي عند الحيِّز الصوتي المسمَّى بـ (الشَّفتان) تتشكل صفتان صوتيتان لاحظهما علماء الصوت القدماء والمحدثين, فعندما يريد الهواء المصاحب لنُطق بعض الأصوات المرور بالشَّفتين تنطبق الشَّفتان انطباقا تاما, وتلتصقان بإحكام فيحصل انقطاع في مجرى الهواء, وينحبس الهواء المندفع من الرِّئتين ومارًّا بما يليها من الأعضاء ينحبس خلف الشَّفتين لبُرهة من الزمن ثم تنفرج الشَّفتان فتسمحان للهواء بالاندفاع القوي محدثاً حالة أشبه ما تكون بالانفجار الشديد, فيُسمى الصوت الناتج عند ذاك صوتا شديدا عند القدماء وانفجاريا عند المحدثين مثل أصوات التاء والباء والميم... وفي المقابل تتشكل صفة صوتية أخرى عندما لا تنطبق الشفتان عند نطق بعض الأصوات فلا تشكلان عائقا أمام مجرى الهواء المصاحب, فيمرُّ بيُسر وسهولة محدثا حالة من الرخاوة والاحتكاك, فيسمى صوتاً رخوا عند القدماء واحتكاكيا عند المحدثين, مثل أصوات الفاء والشين والذال... فهاتان الصفتان الصوتيتان (الشِّدة/الانفجار والرَّخاوة/الاحتكاك) من الصفات الصوتية العامة أيضاً, التي تشمل طائفة واسعة من أصوات العربية.

تعرَّفنا ممَّا سبق أنَّ الصَّوت هواءٌ في صورته المادية الملموسة, هواءٌ يتجسَّد بكيفيَّات وهيئآت متنوِّعة ومتميزة بعضها عن بعض, وأنَّ اللغة في الأساس أصواتٌ تأتلف وتتركَّب فتكوِّنُ الكلمات, والكلمات تتعالق مع بعضها وتتشكل في وظائف لغوية لتشكل الجمل والتراكيب ومن ثم يتشكل نظام التواصل العربي, وهنا

نشير إلى تعريف أبي الفتح ابن جنِّي ت392هـ للغة بأنَّها (أصواتٌ يُعبِّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم) , إذن نحن نمارس اللغة (نتكلم) أو نُصدر الأصوات والكلمات والجمل بسبب أغراض لدينا نريد أن نعبِّر عنها ونوصلها إلى المتلقي أو السامع, فتكون اللغة بجُملها وكلماتها وأصواتها الوعاء المادي لتلك الأغراض والوسيلة التي تعيننا في التعبير عنها وتحقيقها.

أصوات العربية:

قبل أن نشير إلى طبيعة أصوات اللغة العربية وعددها لابُدَّ أن نورد تعريفا بسيطاً للصوت وما الفرق بينه وبين الحرف؟ الصوت في أبسط تعاريفه هو الصورة اللفظية المادية للمعنى أو الغرض المعبِّر عنه, فهو الصورة المنطوقة للحرف, والحرف هو الصورة المكتوبة للصوت, مع لحاظ الفارق المادي في تجسُّد كل منهما, فتجسُّد الصوت وظهوره ماديا يكون بسماعه وتسلُّط حاسة السَّمع عليه, وتجسُّد الحرف وظهوره ماديا يكون برؤيته وتسلط حاسة الإبصار والرُّؤية عليه, فبنطق الحرف يتحول إلى صوت, مثلما أنَّ كتابة الصوت بالرموز الكتابية المعروفة تحيله إلى حرف.. من المعلوم أنَّ عدد أصوات اللغة العربية يبلغ ثمانيةً وعشرين صوتا, وإذا أضفنا إليها الهمزة تزيد صوتا, وقد كانت لعلمائنا الأفذاذ وقفاتٌ وآراءُ في دراسة الصوت وكل ما يتَّصل بمستواه اللغوي, وإليهم يعود الفضل في الإشارة إلى طبيعتها وأصولها وعددها, وعندما يبلغ الحديث هذه المرحلة لا محيص عن ذكر القامة العلمية العربية المبرَّزة (الخليل بن أحمد الفراهيدي ت175هـ) فإليه رحمه الله تعالى برحمته الواسعة تعود النظرات الأولى وإشارات البداية في مضمار الدراسات اللغوية عامة والصوتية منها, فقد كان كتابه (العين) مفخرة من مفاخر العقل العربي المبدع وما يزال كذلك, فيه وجدت الأفكار الصوتية التي ذكرت أنَّ من أصوات العربية أصواتُ العلة/المد, وهي تنقسم

على قسمين: أصوات مديَّة طويلة وأصوات حركية قصيرة, فظهرت مقولة (الحركات أبعاض الحروف أو الأصوات) وأنَّ حركة الضَّمة بعضٌ من صوت الواو, فهي الواو القصيرة, وهو الضَّمة الطويلة, وكذلك الأمر بالنسبة للعلاقة بين (الفتحة والألف) و (الكسرة والياء) , وإذا أخذنا ذلك بنظر الاعتبار فستُضاف ثلاثة أصوات أخرى إلى العدد المذكور آنفا, فضلاً عمَّا ما قد تمثله طبيعة الأصوات من حيثُ التفخيم والترقيق من مظاهر التمييز والتفريق بين الأصوات وما قد يلقيه ذلك من ظلال تستدعي الزيادة والإضافة في عدد أصوات العربية. والذي لابدَّ أن نلتفت إليه هو أنَّ عددها لا يمكن حصره تبعاً لطبيعة محدَّدة معيَّنة, بل لابُدَّ من مراعاة الطبيعات والوضعيات المختلفة وتبعا لتنوُّع مستوياتها وسياقاتها التعبيرية المتفاوتة.